ورقة عمل بعنوان

في مسألة الخدمة الاجتماعية في مصر

أ.د/ محمد محمود مصطفي حميد

المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالقاهرة

"ان ايه محاوله موجهه الي مساعده الناس تعد عملا عظيما وضروريا طالما ظلت حاجه الكائنات البشرية الي المساعدة وعمليه المساعدة هذه تعد عملا ضروريا وصعبا"

تمهيـد...

اتناول في هذه الورقة مسألة الخدمة الاجتماعية في مصر في ابعادها العريضة، وقد فضلت ذلك علي تناول الجزئيات بالتحليل والتفصيل.

اراه موضوع يحتاج الي الرؤية الشاملة، رؤية تراعي اعتبارات تمثل الأرضية التي تقف عليها الخدمه الاجتماعية في مصر، سعيا وراء المزيد من البيان لمعالمه الرئيسية وسبل التعامل مع هذه المعالم.

كما اراه موضوع قد يثار حوله الجدل، الجدل الذي يعمل على إيجاد الإجابة الحاسمة له. وسيلاحظ القارئ انني لم اقصد بحث أكاديمي قائم على متطلبات الأكاديمية بقدر قصدي ان اعرض رأيي الخاص في هذه المسألة دون اغفال بطبيعة الحال للدقة التي تفرضها مسؤوليتي.

اتمني ان يكون بين سطور هذه الورقة ما يستحق التفكير الذي يدفع الي العمل سعيا وراء مزيد من البيان لهذه المسألة.

المرجو ممن يقرأ هذه الورقة ان يقرأها بهذه الروح.

الرعاية السلبية والإنعاش الاجتماعي...

"الاخلاق قدر الانسان ومصيره، الانسان الذي كتب الله له الحياة في مجتمع هذه الحياة التي يستحيل ان يكتب لها البقاء الا بالقيم الإنسانية"

تمثل الرعاية الاجتماعية ميدان من اهم ميادين الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية وينظر لبرامج وخدمات هذه الرعاية على انها ليست عملا إنسانيا بحتا لا عائد من ورائه، انها قد تكون خط الدفاع الأخير الذي يحمي الأسرة والطفولة من التحلل والوقوع فريسة الجوع والانحراف. وهي خدمات تزداد الحاجة اليها في مرحله التحولات الاجتماعية، وهي تحولات تؤثر في أوضاع كثير من افراد المجتمع من الناحية العضوية والوظيفية بحيث يعجز الكثير من افراد المجتمع عن مواجهتها وتسبب لهم ضغوطا حياتيه تمنعهم من تحقيق التكيف السوي.

وتعتمد برامج الرعاية الاجتماعية على سياسة تستهدف تحقيق الإصلاح والتأهيل الاجتماعي للفئات المستحقة لخدماتها وبحيث تعمل على التخفيف من حده هذه الضغوط. كما تهدف عمليه المساعدة وفقا لهذه السياسة على تحقيق التوظيف لطاقاتهم في عمل منتج وكثيرا ما يطلق على هذه السياسة "سياسة الإنعاش الاجتماعي" بمعني منح الفئات المستحقة لخدمات الرعاية الاجتماعية مشاعر القبول والاهتمام بهم وبمشاكلهم وتأكيد كرامتهم مع اكتشاف امكانياتهم وتوظيفها باعتبارهم افراد أقوياء قادرين على التعامل مع مشكلاتهم والمساهمة الإيجابية في حياه مجتمعهم.

ولهذه السياسة استراتيجيات وتكتيكات يستخدمها القائمون بعمليه المساعدة للوصول الي أهدافها (استخدام الخبرات المباشرة – تدعيم الكفاءة الاجتماعية – منح الخبرات الحياتية – تدعيم الذات والاعتماد عليها – زيادة القدرة على التوظيف الاجتماعي... الخ) وبالتالي، ينظر لسياسة الإنعاش الاجتماعي على انه مدخل يمنح افراده القوة والفاعلية التي تمكنهم من مواجهه ضغوط الحياة الحالية والمستقبلية بأنفسهم دون استمرار الحاجة الي طلب المساعدة.

وبالتالي فعملية المساعدة التي تقدمها الخدمة الاجتماعية مع الفئات المستحقة لخدمات الرعاية الاجتماعية تستهدف في النهاية حل المشكلة من خلال مدخل الإنعاش الاجتماعي.

وهو الامر الذي كان يتوقع ان تقوم به عمليه المساعدة للخدمة الاجتماعية في ممارستها في هذا الميدان ومع هذه الفئات في مصر، ولكن هذا الامر لم يتحقق.

ولعل من اهم أسباب ذلك هو ان خدمات الرعاية الاجتماعية في مصر كدوله ناميه ذات أعباء استثماريه يأتي في مؤخره الأولويات – دون ان يعني ذلك ان الدولة تنكر اهميه هذه الخدمات او انها خاليه من الشعور الإنساني او الشعور بالمسئولية الاجتماعية تجاه هذه الفئات – وهذا ما جعل عمليه المساعدة في هذا الميدان من ميادين الرعاية الاجتماعية تقدم بمفهوم الرعاية السلبية، رعاية تقوم علي فكره الاحسان والمساعدة المادية بغض النظر عن تحقيق او استخدام سياسه الإصلاح والتأهيل الاجتماعي الذي يحقق الإنعاش الاجتماعي لفئات هذ الميدان والذي يحقق التغير الإيجابي لهم ويحولهم من طاقات سالبه للتنمية الي طاقات موجبه. اضف الي ذلك الي ان عمليه المساعدة هذه تتم داخل مؤسسات مجمده في افكارها الإدارية وبأساليب اعتادت عليها منذ نشأتها دون تغييرها والقائمون علي عمليه المساعدة اشخاص غير مؤهلين التأهيل العلمي والعملي المناسب لأداء رسالتهم مما يفقدهم التوجه السليم.

ازمه فكر ام ازمه فلسفه ...

"ان ايه فكره في ذاتها لا تكون بالضرورة صالحه او فعاله الا إذا توافر في الواقع أوضا ع معينه تأتلف وطبائع هذه الفكرة"

الفلسفة معني مجرد، ولكن أصلها ثابت في تربه المجتمع، انها إدراك الوضع الخاص بالمجتمع والبحث عما يلائم هذا الوضع، سواء كان هذا الملائم مما يعتنقه المجتمع فعلا او مما لم يأخذ به المجتمع بعد. فلكل مجتمع واقعه الخاص وينبغي فهم هذا الواقع عند التعامل مع هذا المجتمع.

ويتيعن لممارسه الخدمة الاجتماعية في أي مجتمع ان تكون وفق فلسفه معبره عن واقع مجتمع الممارسة وفي ضوء خصائصه وقيمه وما يعقده المجتمع من اهتمام خاص بالرقي والتطوير الدائم لحياه افراده.

وبالتالي تمثل الفلسفة للممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية اطارا يكون بمثابة معبرا عن الاتجاهات ومعيارا للمواقف التي تتعامل معها، وهو امر لازم لنجاح الممارسة المهنية حيث يعطيها او يمنحها القدرة على ان تشق طريقها بذاتها وبفكرها وعقيدتها.

هذه، هي الفلسفة المشتركة لممارسه الخدمة الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات. فلسفه تقوم حقائقها على تأكيد قيمه الانسان وتحقيق إنسانيته كما انها تمثل الحقائق المقررة لممارسه الخدمة الاجتماعية باعتبارها من ضمن مهن المجتمع الإنسانية، مهنه تهدف ممارستها الي اخضاع الانسان لعمليه التكيف المستمر مع نظم المجتمع الذي يعيش فيه وينظر اليها على انها مسئوله عن وحده المجتمع والحفاظ على استقراره، يدفعها في ذلك انشطه البحث العلمي وانجازات التكنولوجيا.

وهذه الحقائق المقررة لممارسه الخدمة الاجتماعية تمثل الأرضية التي تقف عليها فلسفتها (القوانين الأخلاقية النابعة من الثقافات الإنسانية ومن الأديان السماوية... انها الموجهات الأخلاقية للممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية)، وتمثل حصيلة الأهداف التي يجمعها تصور اجتماعي او رؤيا اجتماعيه تسعي الخدمة الاجتماعية الي تحقيقها.

وبالتالي، فهي مهنه لا يلزم لممارستها الحاجة الي خصائص المجتمعات الأخرى كما لا يلزمها اهداف هذه المجتمعات. واللجوء الي الاخذ بحقائق الغير تمثل ثوبا جاهزا غريبا ترتديه المهنة والاخذ بأهداف الغير يمثل استخدامها لافتات منمقة تعمل تحتها، كما انها مهنه ليست في حاجه الي وضوح كل الحقائق وكل الأساليب وكل التفاصيل مقدما – ان هذا مستحيل – وهي حقيقة يجب ان تأخذ بها الخدمة الاجتماعية في ممارستها.

كل ما تحتاجه الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية هو الرؤية الواضحة لمجتمع الممارسة ولأهدافه ولإنسان هذا المجتمع، وان تشق طريقها بنفسها وبفكرها وبعقيدتها، ممارسه تختلف باختلاف الظروف والأوضاع المجتمعية واهداف المجتمع الكبرى، وان تكون ممارسه قادره على تحويل هذه الأهداف الي خدمات مهنيه تتناسب مع المتطلبات الخاصة للناس والمجتمع.

وبذلك، فهي ممارسه تتغير افكارها وأهدافها وتوجهاتها بتغير ظروف المجتمع واوضاعه الاجتماعية (الحقائق التي تشكل واقعه)، ممارسه تستند على فلسفه تمثل تفسيرات منطقيه موضوعيه وحقائق لا يمكن فصالها عن الفلسفة السائدة عند شعب من الشعوب فيما يتعلق بكيفية تقويمها للناس ولمدي ما تعقده من اهتمام على رعايتهم.

ان من يأتي من الخارج حاملا لفكره املا ان يغير واقع المجتمع الذي عاد اليه على نمطها مدعيا ان تغيير الواقع الي الأفضل لا يكون الا عن طريق هذه الفكرة ليس امرا سهل التحقيق، قد يتحقق شكلا لا فعلا.

ليست أي فكره بذاتها مهما بلغت عظمتها ان تكون قادره على ان تحقق للمجتمع اماله او ان ترفع عن كاهله بعض الامه، طالما انها فكره لا يمكن ترجمتها الي عمل وليس لها متخصصين ولا ممارسين وان شئت ليس لها رجالها وقياداتها ومؤسساتها.

وبالتالي، لا يمكن التعامل مع هذه الفكرة باعتبارها رسالة اجتماعيه قادره على ان تحدث اثارها في المجتمع الوافدة اليه.

هذا ما حدث عند دخول الخدمة الاجتماعية المجتمع المصري، فكره عاد بها بعض المبعوثين المصرين من الخارج خاصه بمهنه موجودة في المجتمع المبعوثين اليه، "المجتمع الرأسمالي الغربي"، مهنه لها رسالتها الخاصة بهذا المجتمع. وحاولوا تطبيق هذه المهنة بما تقوم عليه من أفكار فلسفيه واهداف رأسماليه علي المجتمع المصري، وهو مجتمع في ذلك الوقت له ظروفه واوضاعه الاجتماعية التي تمثل حقيقته (فقر – جهل – مرض) فكانت مهنه منذ بدايتها في مصر نظر اليها قياسا علي فلسفتها الغربية باعتبارها مهنه غربيه مرموقة، ومع ممارستها داخل المجتمع المصري عجزت ان تحدث اثارها المجتمعية فبدت مهنه وقد ارتمت في أحضان الغرب المتفوق وسلمت له كيانها وعقلها – مهنه غريبه تلبس ثيابا غربيه وتقتبس علوم الغرب وثقافته ومناهجه العلمية – ومع غربه هذه المهنة تشرنقت واصابها الجمود ولم تستطع ان تعيد لنفسها صياغه رسالتها في ضوء واقع المجتمع ومشكلات افراده. ليس معني ذلك الاستغناء عن فلسفه وعقيده يجري على أساسها العمل، ابدا كل ما ارمي الي تأكيده هو اننا لسنا مضطرين الي اقتباس أفكار جاهزة لا تناسب هويتنا المصرية، وان كنا دائما في حاجه الي فكره، ولكن ليست ان تكون دائما مستورده بل ان تكون بالضرورة صالحه وقابله للتطبيق في المجتمع الذي وفدت اليه. بمعني ان تكون لهذه الفكرة الأرضية المناسبة والاهداف الواقعية التي تستهدفها.

من هنا بدأت ازمه الخدمة الاجتماعية في ممارستها في المجتمع المصري، مهنه اختارت فكر وعقيده مجتمع مختلف وجعلته اطارا لفلسفتها وموجها لممارستها المهنية وعندما تنتهج الخدمة الاجتماعية في مصر فلسفه ليست من نسيج المجتمع ولا تمثل واقعه ستبدو مهنه مقيده الحركة غير قادره على ان تحدث اثارها المجتمعية.

انها ازمه فكر نستطيع ان نراها ونلمسها ونستطيع ان نسمعها من أصوات تردد الي اين؟ كما انها ازمه فلسفه اقتبستها او استوردتها من فلسفه مجتمع مختلف في أفكاره وايديولوجياته وتوجهاته القيمية والأخلاقية فيما يتعلق بالإنسان والمجتمع الذي يعيش فيه.

كيف لمهنه ان تشق طريقها بنفسها وبفكرها وعقيدتها وهي لا تمتلك جذور نبتت في تربه المجتمع النتيجة أصابتها بالعطب والوهن لافتقادها الغذاء والمران.

انها مسألة في حاجه الي حل، يري البعض انه لحلها يتعين على الخدمة الاجتماعية في مصر اما ان تستمر في اقتباس فلسفه الغرب او تتوقف عن ممارستها حتى تستلهم فكره مفلسفه كامله. ويري البعض الاخر انه لحل هذه المسألة القبول بازدواجيه الفكرة والحركة وتوازيهما معا، لان عباده الفكرة يأتي بالجمود والتعصب واحتكار الفكرة يأتي بالغموض والتخبط، اما تزاوج الفكرة والحركة فهذا الذي يحمل الأثراء المتبادل للعنصرين معا.

اري انها مساله في حاجه الي حل حاسم او في حاجه الي اجابه واضحة، علينا ان نحدد ما هي وظيفة الخدمة الاجتماعية في مصر؟ في مجتمع له سماته الأيديولوجية وحقائقه الاجتماعية، هل ينبغي ان تتقوقع هذه الوظيفة حول معني المعونة او معامله الفقراء او النهوض بهم، او حول معني تقديم تسهيلات ترويحيه مناسبه لأفراد المجتمع للتعامل مع وقت الفراغ، ام نأخذ مسئوليات الدول الرأسمالية تجاه مواطنيها.

انه السؤال الذي لا ينتهي بالنسبة لمهنتنا، ولعل بإثارة هذا السؤال الان انما هو تعبير عما تواجهه المهنة من تحديات وعدم قدرتها على مواجهتها المواجهة الحاسمة.

اري ان الخدمة الاجتماعية في مصر تمر بازمه ولكنها ازمه من نوع اخر، انها ازمه تسبق مرحله الانتقال الي مرحله النضج واستواء القوة. ومع بلوغ المهنة اعلي درجه من النضج (النضج الذي يمنحها القدرة على تصحيح الرؤي والافكار والغايات والقدرة على

الحركة داخل مجالات الممارسة المهنية نحو أهدافها)، من هنا تستطيع الخدمة الاجتماعية ان تتعامل مع تحدياتها وتحل مسألتها.

سبل التغيير: الهواية أم الاحتراف....

"يبدو العمل مع الكائنات البشرية شيئا يستطيع كل شخص ان يفعله،
ومع ذلك فان تاريخ الحياة البشرية قد اظهر مدي صعوبة ذلك"

الهواية والاحتراف مصطلحان مرتبطان بالممارسة، قد تبدأ الممارسة بفكر الهواية وتنتهي الي فكر الاحتراف. وهذا يعني ان الهواية والاحتراف يتصلان في نقطه واحده وهي الممارسة.

الاحتراف عمل مقنن يقوم علي واقع ونظام وقانون وله هيئاته وافراده الذين لهم مصلحه في الاحتراف ويتخذونه منهاجا وأسلوبا للحياة. وهو ممارسه لها واجبات ومهام وادوار يلتزم بها المهني المحترف وفق متطلبات وظيفته وطبيعة مسئولياته المهنية. واجبات يجب ان يؤديها بكل حرفيه ومهنيه عالية لتحقق له التميز في مجال عمله وموقعه الوظيفي.

وهذا يعني ان ما يقوم به المهني المحترف يختلف عما يقوم به الشخص المهني الاخر الغير محترف. في الاحتراف لا يترك أي شيء للصدفة او للمحاولة او الاجتهاد. وممارسه مهنه الخدمة الاجتماعية في مصر تحتاج الي الفكر الاحترافي الذي سيمنح ممارسيها التميز ويمنح المهنة الأهمية والتصديق المجتمعي.

انه من المناسب ان يكون للخدمة الاجتماعية في مصر متخصصين محترفين يعملون في مجالات الممارسة المهنية يؤدون أعمالهم وفق فكر احترافي ويمارسون باسم المهنة مهام معقده وفق أسس علميه وتكنولوجيه معا وان يكونوا قادرين على استخدامها.

وأتسأل ما الذي تحتاجه الخدمة الاجتماعية الان لتكون مهنه الممارسة الاحترافية؟ وهل هذا هو الوقت المناسب للحديث عن هذا الموضوع؟ وهل المناخ المجتمعي الحالي سيدعم هذه الفكرة؟ وهل تمتلك الخدمة الاجتماعية بوضعها الحالي مقومات الاحتراف؟ من اين نبدأ الممارسة الاحترافية؟ هل نبدأ بوضع المهنة الحالي ام نبدأ من جديد بفكر جديد ونظم وسياسات ومؤسسات جديده؟

هل ندرك ان الاحتراف في ممارسه الخدمة الاجتماعية يتطلب توافر الكثير من المقومات لنجاحه، انها مقومات متعلقة بممارس مبدع مفكر ناقد قادر علي قياده المهنة والارتقاء بها وكذلك الارتقاء بحياة الناس الذين يقوم بخدمتهم.

هل تصلح الممارسة الاحترافية في جميع مجالات الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية؟ ام نبدأ التجربة الاحترافية في مجالات معينه وفق مؤسسات لها شروط خاصه متعلقة بالقدرة على تحقيق النجاح لهذه التجربة؟

ما الذي يوصلنا للممارسة الاحترافية هل نأخذ بتجارب الاخرين ام نتمسك بثوابتنا؟ وهل نمتلك أفكار ونظم وسياسات يمكن اتباعها لتطبيق الاحتراف باعتباره صناعه واستثمار أكثر من ثقافه وفكر، بحيث ننتج سلعه لها قيمتها السوقية بمفاهيم السوق (العرض والطلب وضمان الربح والتكلفة والعائد...) سلعه لها مواصفات تجعلها قادره على ان تواجه تحدي مرتبط بالكفاءة والجودة واداره الوقت.

هل توجد لدينا كوادر مهنيه في الخدمة الاجتماعية قادره على ان تساند هذه الصناعة الاستثمارية وقادره على انتاج سلعه لها قيمتها في سوق العمل.

انها أسئلة تحتاج الي اجابه حاسمه؟؟؟

الخاتمة....

"ان كل حَجْر على الفكر وحظر جناية على رسالة الخلق والابداع"

على الرغم من الجهد الذي بذل خلال هذه الورقة بحثا وراء مساله الخدمة الاجتماعية في مصر. الا انه سيترك وراءه جوانب من المعرفة ممزقه او حقائق لم تفهم فهما يقينيا. انها محاوله تكمن في حفز زملائي بالبحث عن حقيقة هذه المسالة، واستكمال النقص الذي اعتري سطور هذه الورقة سعيا وراء إيجاد الحل المناسب لهذه المسألة.